



«تمجيد المرأة»  
(زيت، واكريليك  
وغرافيت على  
كانفاس - 150  
× 160 سنتم -  
2015)



«مساعدة»  
(زيت  
واكريليك على  
كانفاس - 140  
× 150 سنتم -  
2014)



«عزيزي عاشق»  
(زيت  
واكريليك على  
كانفاس - 140  
× 150 سنتم -  
2015)

وأجلسها وسط ركام من الديكورات وقطع الأثاث والأكسسوارات. وأخيراً هناك موديلات معاصرة من محترفيه، شابات بملابس معاصرة و«بوزات» (وضعيّات) فوتوغرافية، يشاركن في المشهد، بل يلعبن فيه الدور المحوري. اللوحة الجديدة، غالباً، من بطولتهن. نحن أمام تجسيد لعملية تكثيف الأزمنة للإحاطة بالمكان، ووضع الحاضر في سياقها. إنها نظرية المونتاج المتوازي العريضة على قلب السينمائي السوفياتي سيرغي آيزنشتاين، إذ تخلق من عنصرين متباعدين «علاقة تجاذب» يتوالد منها المعنى الجديد.

كذا في لوحة «مساعدة سيرسيه»، لم تعد الإلهة الإغريقية هي الأساس، بل الموديل، معاصرنا. تساعد هذه الأخيرة «سيرسيه»، الملكة الساحرة، سيدة الغواية الآتية من الأسطورة الإغريقية (وقد استعارها الفنان من لوحة البريطاني جون ويليام واترهاوس (1849-1917)، تساعدنا في تحضير شرابها السحري الذي يمسخ الرجال خنازير. وفي الخلفية لوحته «أزواج» (1975)، وأبعد منها في العمق يوليس لحظة وصوله إلى المكان على خلفية الجزيرة المتوسطية ومينائها. نحتاج هنا إلى «أوديسا» هوميروس لنعرف أن سيرسيه ستفشل في تحويل البطل الإغريقي الأشهر إلى خنزير (قبل أن تستسلم لحبه)، لأن هيرمس رسول الآلهة، وحضنه ضد مفاعيلها السحرية. وعلى يسار المشهد، أعاد الرأس رسم أحد مجسماته الميكانيكية، تنصّرها دمية من «نساءه» في وضعية سادو. مازوشية عالم يبدو للوفاة الجديد مبهماً وصعب التأويل، يبهنا وبحرّضنا على الحنين والتهويم والفانتازيا. في الحقيقة، لا بد من رحلة بحث واستقصاء معرفية وتفكيك للعناصر. هذا شرط للتفاعل مع الرؤيا. الحكاية بدأت قبل اللوحة، وستستمر بعدها. أهلاً بكم في المتاهة.

الأنثوي في شتى أحواله واحتمالاته، في محاولة لصياغة موقف أخلاقي فلسفي راديكالي من العالم. يحور الخطاب الرمزي، ويختطف الرموز والمراجع والأدوات والمفاتيح المعرفية إلى كوكبه المتمرد الماجن. نحن في قلب جدلية الموضوعي والذاتي، الهادي والصاحب، المهادن والاستفزازي، البناء والهدم، الفنان منحاز في حياته الظاهري، يصرخ بصمت ويهدم اللوحة وهو يبنيها. السينوغرافيا المرتبة والمنظمة، تنضح بفوضى الحواس والتداعيات والمشاعر. خلف برود المشهد، يعيد الرأس النظر بالعالم، للمرة الألف ربما، يراجع نفسه ويراجع الماضي القريب والبعيد، في الفن، وعبر الفن، ومن خلاله. لوحة محمد الرأس لوحة صادمة،

تقول أحوال الجسد الأنثوي وتحولاته ومخاضاته. لوحة الرأس لوحة سياسية، تنظر بريبة نقدية إلى العصر، وتمجد المرأة، وتحت على التمرد والقطيعة. وتعرض على الرغبة. لوحة الرأس درس في تاريخ الفن، تسائل الهوية الثقافية. لكن، على الرغم من لوحته الصادمة، لا يترك لنا أن نتهمه بالاستفزاز، بسبب كل هذا الامتلاء والسكون الظاهري، وتلك الرقة في النظر إلى الجمال الأنثوي، والهوس بتفاصيل الأشياء والأكسسوارات والأدوات والآليات. هو الذي لا يرفع شعاراً، ولا يلقي درساً، ولا يلقي خطاباً، يقدم لنا لوحة سياسية بامتياز، تشكك في الثوابت، تجاهر بالرغبة، تسخر من النظام والظلامية، وتقصي الذكورة المستبدة... في لوحته، بحسبيتها، وشبقيتها، وسخريتها وإحالاتها المعرفية، يمكن أن نجد جمهوريتنا الفاضلة.

معروض «تمجيد المرأة» في «غاليري أجيال»، يشهد على بلوغ محمد الرأس أنضج مراحل أسلوبه في المراكمة والتأليف الجدلي بين العناصر والأزمنة والحكايات، بين الأساطير القديمة و«ميثولوجيات» الأزمنة الحديثة بالمعنى الذي أراده رولان بارت. لعلّه معرض مواجهة مع الذات بامتياز. مواجهة أسلوبية، وأوتوبيوغرافية، تنتصر لـ«الراهن المستحيل»، الراهن الشائك والمعقد، وال«ما بعد حدثي»، إذا شئنا أن نقف عند تصنيف مي غضوب التي لم يتسن لها للأسف أن ترى منحوتات الرأس ومجسماته الهندسية من معدن وصمغ الراتنج وبلاستيك وخشب. وهذه المجسمات حاضرة هنا، في المعرض، بصفتيها: المستقلة، أو التابعة كجزء من اللوحة الشاملة التي يعرضها علينا الفنان... يبقى سؤال: ممّ يخاف محمد الرأس في النهاية؟ من المشاعر الزائدة، وتروما الحنين؟ من الوقت الهارب؟

بالخفة والخصوبة والمعرفة والخيال والفانتازيا. كتب هذا النص لكتالوغ معرض «تمجيد المرأة» الذي تستضيفه «غاليري أجيال» في بيروت، حتى 28 أيار (مايو) - للاستعلام: 01/345213

«المخلصة» (زيت واكريليك على كانفاس - 140 × 150 سنتم - 2014)

